(٧٩) أبو حمزة البغدادي[١]

ذكر الشيخ أبي حمزة البغدادي رحمه الله:

كان رحمه الله من الكبار الأبرار، كاملاً في علم التفسيرِ ورواية الحديث، عالمًا بالقراءات، فقيهًا، وكان من أولاد عيسى بن أبان.

وكان الإمامُ أحمدُ بن حنبل رحمه الله يقول له في المسائل: ما تقول فيها يا صوفي.

وكان شيخُهُ حارثًا المحاسبي.

وأدرك صُحبةَ السريِّ، والحسن المسوحي، وصحب النُّوريَّ، وخيرَ النساج، وكثيرًا من المشايخ.

وهو من الذين أمرَ الخليفةُ بقتلهم، وتقدَّمَهُم النُّوريُّ رحمهم الله، وكان ذلك سببًا لخلاصهم[٢].

وكان من أقران الجُنيد رحمه الله، ومات قبلَهُ في سنة تسعٍ وثمانين ومئتين.

وكان يعظُ الناسَ في مسجد الرُّصافة ببغداد، وكان ذا تقريرٍ شاف، وبيانٍ صاف.

---

(١) طبقات الصوفية ٢٩٥، ٣٢٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣٢٠، تاريخ بغداد ١/ ٣٩٠، الرسالة القشيرية ٩١، طبقات الحنابلة ١/ ٢٦٨، مناقب الأبرار ٥٧٥، المنتظم ٥/ ٦٨، صفة الصفوة ١/ ٢٦، ٢٧، ٢٨، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ٢٩٠، مختصر تاريخ دمشق ٢١/ ٣٤٩، و٢٨/ ٢٤٣، سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٦٥، الوافي بالوفيات ١/ ٣٤٤، طبقات الأولياء ١٥٠، ١٥٥، النجوم الزاهرة ٣/ ٤٦، نفحات الأنس ١٠٨، طبقات الشعراني ١/ ٩٩، ١٠٣، الكواكب الدرية ١/ ٥٥٠، ٦٩٧، ٤/ ١٢٧، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٧٠. وانظر ترجمة أبي حمزة الخراساني برقم (٧٠)، ففيها أخبار مشتركة مع ترجمتنا هذه.

(٢) انظر الخبر صفحة ٤٦٨. والرجل هناك أبو حمزة الخراساني مما يؤكد تداخل الترجمتين.

نقل أنه دخل يومًا على شيخه حارثِ المحاسبي، وكان للحارثِ ديكٌ أسود، فحين دخل أبو حمزة صاحَ الديك، فقال أبو حمزة: لبَّيك. وشهقَ شهقةً، فقام الحارثُ، وأخذ سكّينًا، وقصد أن يقتل أبا حمزة، والأصحابُ شفعوا، ووقفوا[1] بينه وبين الشيخ، فقال الشيخ: أسلمْ يا مطرود. فأسلم، وتركه الشيخُ، فقال الأصحاب: يا شيخ، ما كنّا نعلمُهُ إلاّ من خواصِّ أولياء الله تعالى، ومن الموحّدين، فما هذا التردُّدُ الذي فيه للشيخ؟ فقال الشيخ رحمه الله: لم يكنْ لي تردُّدٌ فيه إلاّ أنه مستغرقٌ في بحر التوحيد، ولكنْ لما يقولُ كلامًا يُشبهُ كلامَ أهلِ الحلول فإنّ ديكًا صاحَ على جاري عادته، لِمَ يقولُ لبّيك، حتى يظنَّ أنَّه سمعَ كلامَ الحقِّ على لسان الديك، فإنَّ الله تعالى منزَّهٌ عن الحلول في شيءٍ، والامتزاجِ بشيءٍ. فتابَ أبو حمزة، ورجع عمّا قال.

نقل عن أبي حمزة رحمه الله أنه قال: رأيتُ اللهَ في المنام، فقال: يا أبا حمزة، لا تتبعِ الوسواس، وذقْ بلاءَ الناس.

ونقل أنه قال: مَنْ عرفَ الطريقَ إلى الله، فيسهل عليه سلوكُهُ، فالطريقُ ما علّمه اللهُ عبدَه بلا واسطة، فإن الطريق الاستدلالي قد يكون صوابًا، وقد يكونُ خطأً.

وقال: علامةُ الصوفيِّ الصادقِ أن يُظهرَ ذلَّهُ بعد العزِّ، وفقرَه بعد الغنى ـ أي يعلمُ أنّه فقيرٌ محتاجٌ إلى الله، وإن كان غنيًّا ذا مال ـ وعلامةُ الصوفيِّ الكاذب على عكس هذا ـ أي يظهر عزّه وغناه، والحالُ أنه ليس كذلك.

وقال: كلّما نزلتْ عليَّ فاقةٌ أقول: هذه هديةٌ من الله، ولا أعلمُ أحدًا أولى بها منّي، فكنت أقبلُها بالرِّضا.

نقل أنّه قال: كنتُ يومًا من الأيام على جبلِ لبنان، فالتقيتُ بثلاثة أشخاص على كلٍّ من الاثنين بَلاَس[2]، وعلى واحدٍ قميصُ فضَّةٍ، فقالوا: أنت غريب؟

---

(١) في الأصل: ووقعوا.

(٢) البَلاَس: ثوب من الشعر غليظ. جمع بُلُس. معرب فارسيٌّ.

قلت: مَنِ اللهُ مولاه فلا يكونُ غريبًا. فلمّا سمعوا منّي هذا الكلام، استأنسوا بي، فقال أحدُهما: أعطوه سَوِيقًا. قلتُ: لا آكلُ السَّوِيقَ إلاّ بالسُّكّر. فأعطوني في الحالِ سَوِيقًا بالسكر، ثم سألتُ عن صاحب قميص الفضَّةِ: ما هذا القميص؟ فقال: شكوتُ إلى الله تعالى من القملِ، وكثرةِ إيذائها، فاللهُ تعالى ألبسني هذا القميص.

ونقل أنه كان ذا كلام فصيح، ووعظٍ شافٍ، فسمعَ يومًا من الأيام هاتفًا يقول: يا أبا حمزة، إنَّ لكَ كلامًا بليغًا، ومنطقًا فصيحًا، ونطقتَ بالخيرِ كثيرًا؛ لكنَّ السكوتَ خيرٌ لك من الكلام.

ونقل أنه ما تكلَّمَ بعده إلى أن تُوفّي إلى رحمة الله تعالى.

وقيل: كان يتكلَّمُ في مجلسه يومَ الجمعة، فتغيَّرَ عليه الحالُ، فسقطَ من كرسيِّهِ، ومات في الجمعة الثانية.

رحمه الله، ورزقنا ببركته حالاً من أحوال الأخيارِ، وجعلنا من الذين يَستمعون القولَ فيتَّبعون أحسنه، وصلّى الله على سيِّدنا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

* * *